بسم الله الرحمن الرحيم

"الثورة الجزائرية وحرب غزة"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد..

كثير من الباطلِ الزمنُ والواقعُ كفيل بكشفه وفضحه، وكل من له عقل وبصيرة يعلم ما يحصل لإخواننا المستضعفين في غزة من قتل وتشريد وتهجير دون أدنى تقدُّم يُذكر لمن يحمل راية القتال والجهاد، فلا أرضا بقيت ولا نفوساً حُفظت بل زاد الشر والفساد عما كان، ومثل هذا لا يحتاج إلى دليل أو برهان، فمن لم يقنعه هذا الواقع للتدليل على عدم صحة هذا الجهاد لفقدان شرط القدرة فلا كلام معه.

وقد دندن بعض الناس على ثورة الجزائر مستشهدا بها على تسويغ كثرة القتل في غزة، وأن ذلك لا يمنع صحة الجهاد، وأنه لا يَعرِف أحدًا من أهل العلم أنكر "جهاد الجزائريين" مع كثرة القتلى الذي تجاوز نص مليون، وللكلام حول استشهاده بـ"ثورة الجزائر" أقول:

أولا: توصيف الواقع وصورة مختصرة عن واقع الجزائر:

التوصيف الصحيح الموافق للواقع ينتج عنه حسن تصور، وحسن التصور ينتج عنه الحكم الصحيح على الأشياء، ولذلك قالوا (الحكم على الشيء فرع عن تصوره).

ولا يجوز للإنسان أن يركب الصعب والذلول، والسهل والوعر، ويلوي أعناق الأحداث، ويقيس حدثاً على حدث؛ ليُشَرْعِن قضية معينة، فكل شيء يمكن أن تلبّس فيه وتكذب إلا في الأحداث؛ لأن الناس يشاهدونها.

فالجزائر التي كانت ساحة للقتال: هي أرضٌ خليط من المدنيين الجزائريين والفرنسيين -وكان الفرنسيون

كثرة يبلغون المليون- والشيوعيين واليهود والنصارى والإيطاليين وغيرهم فهو مجتمع خليط يعيشون كلهم على أرض الجزائر مجتمعين -بمن فيهم الجيش الفرنسي نفسه- وكان الثوار هم من الشعب نفسه ومن هذا الخليط المدني.

وكان تواجد الجيش الفرنسي في الجزائر عبارة عن مراكز وحاميات ونقاط موزعة، وكان أيضاً خليطاً من الفرنسيين والجزائريين والشيوعيين وغيرهم.

ثانيا: **الفروق بين "ثورة الجزائر" و "حرب غزة"**:

تصوُّرك لهذا الواقع يبين لك فروقاً ظاهرة وكثيرة بين "ثورة الجزائر على الفرنسيين" وبين "حرب غزة" الدائرة بين حماس والصهاينة اليوم، وإليك هذه الفروقات:

الفرق الأول: **طبيعة الثورات تختلف عن طبيعة الحروب**:

ففي الثورات لا يمكن التنبؤ بأي شيء، فالاحتمالية على الجهتين موجودة، فالانتصار في الثورات ممكن حتى مع أقوى الدول، بل ينتقل الأمر من الإمكان إلى غلبة الظن إذا تحقق أمران:

الأول: قيام جزء كبير من الشعب بدعم الثورة.

الثاني: التخطيط الصحيح.

وكلا الأمرين قد تحقق في ثورة الجزائر، وزادت الجزائر على ذلك أنّ الشعب كله كان ثائراً مع الثورة ضد الفرنسيين، وكان مدعوما من العالم العربي والإسلامي، وأما "طوفان الأقصى" فهو عبارة عن حرب وليست ثورة، وقراءة مجريات الأحداث في الحروب من نصر وهزيمة سهل ومنضبط.

الفرق الثاني: **تكافؤ الأسلحة في الثورات بخلاف الحروب**.

العادة في الثورات أن تكون الأسلحة متكافئة؛ لأنها حرب مدنية والأسلحة التي كانت مع الثوار هي نفسها التي كانت مع الجيش الفرنسي؛ لأنهم كانوا يهجمون عليهم في مراكزهم وثكناتهم ويقتلونهم ويأخذون أسلحتهم ثم يحاربونهم بها.

أما "طوفان الأقصى" فهو حرب، والحروب يُنظر فيها لكل دولة بحسب أسلحتها، وليس هناك مقارنة بين أسلحة الصهاينة –ومعهم الدول العظمى– وبين غزة، لا في القوة ولا في العتاد ولا التقدم العسكري.

الفرق الثالث: **لا جدوى من امتلاك الطائرات والقنابل ونحوها في الثورة**:

في الثورات لا جدوى من امتلاك الطائرات والقنابل والصواريخ، نعم تُستخدم أحيانا إذا تحصن بعض الثوار في الجبال، وكانت أيضا عسيرة عليهم، حتى إنّ الثوّار أسقطوا عشرين طائرة في خمسة أشهر، فعمدة الحرب في الثورة الهجوم المسلح على المراكز والنقاط والثكنات وقتلهم وأخذ أسلحتهم ثم الاختفاء.

وأما "طوفان الأقصى" فالحكم فيه بعد الله لمن يملك الغطاء الجوي ويملك الصواريخ والطائرات والقنابل.

الفرق الرابع: **إمكان هزيمة العدو واندحاره في ثورة الجزائر**:

كما لا يخفى فإنّ الثورات عموما يمكن هزيمة العدو فيها واندحاره، فمجرد الاستيلاء على المراكز والحاميات كفيل أن تمشط منطقة كاملة وتحرر، وهذا الذي حصل بالفعل في الثورة الجزائرية، فكانت هزيمة العدو ممكنة وتحرير الأرض ممكنا.

وهذا بخلاف "حرب غزة" فاندحار العدو وهزيمته حسب المعطيات غير ممكن إلا أن تكون هناك

معجزة، **ونحن أمة لا تبني آمالها على المعجزات** ومن مضى في جهاده معتمدا على حصول معجزة فقد خالف شرع الله وأغضب ربه، وليس هذا توكّلاً بل تواكلاً.

الفرق الخامس: الواقع الملموس يشهد بالنصر:

كان الثوّار في الثورة الجزائرية يرون النصر في كل يوم، واقعٌ يشاهدونه بأعينهم ويلمسونه بأيديهم، أراضٍ ومدن تُحرّر بالكامل، وعدوٌّ يُدْحَر ويُقتل، وطائرات تُسْقط، ولم يكن في مقدور الجيش إلا قتل الأبرياء، حتى الأراضي التي استولى عليها الثوار لم يستطع الجيش إرجاعها.

وأما في "طوفان الأقصى" فعلى العكس لا أراضٍ حُررت ولا نفوسٌ حُفظت، وزاد الطين بلة أن العدو استحلّ أراضٍ جديدة.

الفرق السادس: التقدم العسكري يزيد في ثورة الجزائر:

تصور أن الجيش الفرنسي لم يحقق طيلة الثورة تقدُّما على الثوار، وكان الثوار على العكس كل يوم في تقدُّم وقوة.

هل تعلم أن المغرب وتونس استقلت من فرنسا بسبب ثورة الجزائر ؟! مما يدل على الضعف الذي وصلت له فرنسا في الساحل الأفريقي، فقد رفعت يدها عن تونس والمغرب (سنة ٥٦)، وقالت لهم: (لكم الحق في الاستقلال).تصوّر أن الفرنسيين يتخلّون عن دولتين كاملتين حتى يتفرغوا للجزائر، مما يدل على الضعف المتزايد في صفوف العدو. وتصوّر أن المغرب وتونس بعد الاستقلال انضمّوا للثوار يساندونهم ويدعمونهم.

وأما "طوفان الأقصى" فعلى العكس من ذلك، فكل يوم نرى العدو في تقدُّم واستحلال أراضٍ وقتل

وتشريد لإخواننا، فأي عقل يقيس هذا بهذا؟!.

الفرق السابع: **الخطة المُحكمة من ثوّار الجزائر**:

هل تعلم أن الثوّار قسّموا الجزائر كلها إلى ست مناطق وجعلوا على كل منطقة قائد؟ تصوّر أنهم حرروا ثلاث مناطق بالكامل في سنتين فكانت خطة محكمة وتخطيط عظيم.

وأما ما حصل في "طوفان الأقصى" فلا خطة ولا تخطيط إلا مجرّد أنهم هجموا على الصهاينة، فلا نعرف ثمرة أو مصلحة مرجوة، والسبب بسيط؛ لأن الذي خطط لذلك هم المجوس، وها أنت ترى كيف ظهرت اللعبة على المكشوف بين الصهاينة والمجوس، وحماس من بداية الحرب قالت: (إن إيران خانتنا وأخلفت وعدها)، فالتخطيط مجوسي صهيوني.

الفرق الثامن: **طبيعة الأرض**:

الثوّار في الجزائر **إما** أن يتحصنوا في الجبال، وهذا يَعْسُر على الجيش الفرنسي قتالهم، ولك أن تتصور أن الثوار الجزائريين تحصنوا مرة في الجبال، فأسقطوا في خمسة أشهر عشرين طائرة وقتلوا ٥٠٠ وغنموا، **وإما** أن يكون الثوار في المدن وهذا أيضا يعسُر على الجيش قتالهم؛ لأنها تصبح حرب عصابات.

وأما غزة -فرج الله عنها-فهي عبارة عن أرض مسطحة مكشوفة لطائرات العدو وصواريخه ليلا ونهارا، ومساحتها كيلوات معدودة.

الفرق التاسع: **التلاحم الداخلي (الشعب) في صفوف الجزائريين**:

الشعب في الجزائر كان كله مع الثوار، حتى الشيوعيين وطائفة من الفرنسيين والنصارى واليهود وغيرهم، ودائما وقود الثورة ورجحان كفّتِها يعتمد على قيام الشعب، فهو أساس وركن لنجاح أي ثورة

فلو قام ربع الشعب في أي ثورة انتصرت، ولو كانت أقوى الدول وهنا كان الشعب كله ثائر.

وأما "غزة" -كشف الله كربتها- حتى لو كان الشعب كلُّه قائماً مع حماس فلا فائدة من ذلك؛ لأن هذه حرب وليست ثورة، ومع ذلك كان الشعب ناقماً على حماس حتى قبل الحرب كما هو مشاهد معروف.

الفرق العاشر: التلاحم الخارجي مع الجزائريين:

كان العالم الاسلامي والعربي كله مع الثوار، يمدونهم بما استطاعوا، ويكفي أنهم كانوا متبنين هذه الثورة، قال رئيس الوفد الجزائري أثناء الاحتلال للملك سعود: (لن ننسى موقفكم معنا).

حتى جمال عبد الناصر قد أشار من قبلُ على البشير الابراهيمي بالثورة، فإذا كان مثل هؤلاء الملوك والرؤساء يتبنون هذه الثورة، ويشيرون بها على الجزائريين، فهم على علم بأن تحقق النصر والتحرير فيها ممكن قريب، مما يدل على تفهمهم لطبيعة الحرب التي ستقوم وأن القوى فيها متقاربة.

وهذا بخلاف "طوفان الأقصى" فلم يكن معهم إلا عدوٌّ مجوسي خائن غادر زادهم وهنا وضعفا.

الفرق الحادي عشر: الانقسامات والخيانات في صفوف الفرنسيين:

حصل في الجيش الفرنسي خيانات كبيرة وانقسامات جعلت كفة الثوار ترجح، ومن ذلك: حملة الضابط "مايو" وانضمامه بعتاده وجنده مع الثوار، وكذا النواب الذين يسمّوْن بـ(٦١) انضموا للثوّار، حتى إن "أبا العيد" -وهو من العشرين النواة الأولى الذي خططوا للثورة- قبضوا عليه وسجنوه ثم هرب من السجن وعاد مع الثوّار مما يدل على خيانات حصلت حتى في السجون الفرنسية.

وهذا لا يجري ويحدث إلا إذا أحسّ هذا الطرف بانتصارِ وتقدُّمِ الطرف الآخر، وهذا مصداق ما ذكرتُه سابقا بأن الثورة كانت في تقدم متزايد، وهذا بخلاف "جيش الصهاينة" الآن فليس فيه خيانات ولا

انقسامات والسبب معروف؛ لأنه في انتصار وتقدم.

الفرق الثاني عشر: **لا شبهة في قتال الجزائريين**:

في الثورة الجزائرية لم تكن حربا بالوكالة عن أجندات خارجية، فلا شبهة في قتالها ولا شكوك تدور حولها، وأما "طوفان الأقصى" فكان حربا بالوكالة حتى قال إسماعيل هنية: (إن حماس وحزب الله يصدان إسرائيل عن إيران) فالذي أمر بالطوفان وخطط له لا شك أنهم المجوس، وقد تحقق لهم ما أرادوا.

الفرق الثالث عشر: **عدم المفسدة في قتال الجزائريين**:

في "الثورة الجزائرية" لو لم ينتصروا فإنهم لم يخسروا شيئا من أراضيهم؛ لأنها أصلا مستحلة من قبل العدو، وأما "غزة" فقد خسرت أرضها وأهلها وكل شيء، أسأل الله أن يعوّضهم خيرا وأن يكف شر هؤلاء الملاعين عنهم.

هذه فروقات بعضها كافٍ لإبطال هذا القياس المتهالك.

بقيت شبهتان تتعلق بـ "ثورة الجزائر":

الشبهة الأولى: قول بعضهم: الثورة الجزائرية كان القتل فيها كبيرا ومع ذلك كان الجهاد مشروعا!:

فالجواب من وجوه:

أولا: أن كثرة القتل أو قلته لا تدل على شرعية الجهاد أو عدمه، فلا بد أن يُنظَر ما يقابل القتل من مصلحة.

ثانيا: أن إتلاف الأرواح في نفسه مفسدة، وإنما جاز ذلك وساغ في الجهاد؛ لأن هناك مصلحة تقابل هذه المفسدة وترفعها، وهذه المصلحة هي: تحرير الأراضي وتطهيرها من الكفر وأهله حتى يقام عليها توحيد الله وحكمه.

فهذه هي المصلحة الشرعية المسوّغة لجهاد الكفار كما قال تعالى: ﴿**وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ**﴾ [البقرة: ١٩٣] فليست المصلحة راجعة لأذواق الناس ومحض عقولهم أو راجعة للمصالح الحزبية، فإن كل حزب عنده مصالح خاصة مقدّمة على المصالح الشرعية، كقول بعضهم: (يكفي من طوفان الأقصى أنه منع التطبيع)! فهذه لو سلمنا بها جدلا، فإنها مصلحة لا تسوّغ الجهاد ولا قتل الأنفس في سبيلها ولا ترفع مفسدته، فالمصحّح لمفسدة إتلاف الأنفس في ساحة الجهاد هو تحرير الأراضي من الكفر وأهله، فإذا عُلِمت المصلحة الشرعية التي من أجلها شُرِع الجهاد زال الإشكال.

وعلى هذا: فإن كان تحرير الأراضي ممكنا بحسب المعطيات -كالثورة الجزائرية- أو يغلب على الظن فالموت في سبيله مشروع ولا عبرة بكثرة القتل وقلته، وإن كان غير ممكن -كطوفان الأقصى- أو يغلب على الظن عدم تحققه كان الموت في سبيله غير مشروع وهذا قد نص عليه الإمام أحمد فقال: الجهاد مع

أمير عُرف عنه الهزيمة مكروه.

أما إن كان غير ممكن بحسب المعطيات والوسائل المتاحة فهو حرام؛ لأنه إتلاف للأرواح بلا مقابل.

الشبهة الثانية: قول بعضهم: إن العلماء ما أنكروا ثورة الجزائر مع القتل الذي حصل فيها:

قد بينت قبلُ أن القتل ليس بعلة في حد ذاته، وارجع للفروق التي ذكرناها بين "حرب غزة" و"الثورة الجزائرية".

ثم نقول في الجواب عن ذلك:

أولا: كيف ينكر العلماء جهادا شرعيا صحيحا متوافرة شروطه والنصر فيه ممكن؟!، وقد أتتهم الأخبار بتحرير الأراضي واندحار العدو!.

ثانيا: عاش الإمام ابن باديس عمره -وهو أجل علماء المسلمين في الجزائر- لم يجاهد ولم يخطط لثورة، وكذا البشير الإبراهيمي، وكان تحتهما مئات الآلاف من الطلبة والمحبين -وقد كانا رئيسا جمعيةِ علماء المسلمين- فإما أن يكون الجهاد وقتها شرعيا أو لا ؟! فإن كان شرعيا فواجب عليهم أن يقوموا به؛ لأن تحرير الأرض ودفع العدو مع مشروعيته واجب وفرض، وإلا كانوا عصاة فسقة وهذا ما لا نظنه بهم، أو يكون الجهاد آن ذاك في نظرهم غير شرعي، فإن كان غير شرعي فأخبرونا عن علة عدم شرعيته عندهم!.

ثالثا: جمعية علماء المسلمين الشهيرة السلفية التي أسسها ابن باديس قد حصل حولها كلامٌ كثيرٌ في تخاذلها من الثورة حيث إنها:

١) لم تُصْدِر بياناً رسميّا إلا بعد سنة وأربعة أشهر من الثورة.

٢) كانت مقالاتها في جريدة "البصائر" التابعة للجمعية نفسِها ضد توجه الثورة، فقد كانت تدعوا فيها للتهدئة والتوافق.

٣) لم تنشر تأييد رئيسها البشير الإبراهيمي للثورة حين كان خارج الجزائر.

٤) ويقول "محمد حربي" -وهو من القادة في الثورة الجزائرية-: (بأن الجمعية كانت ضد الثورة؛ لأنها ترى الاستقلال متعذراً وأنها مغامرة) !!.

والمقصود مما تقدم: أن هناك علماء سواء قلُّوا أو كثُرُوا عارضوا هذه الثورة بناء على: هل القدرة التي تترجح بها المصلحة على المفسدة موجودة أم لا ؟

رابعا: العلامة البشير الإبراهيمي: يقول أبو الضياف -وأبو الضياف كان من العشرين النواة الأولى التي خططت للثورة- يقول: (إن جمال عبد الناصر قبل الثورة كان قد عرض على البشير الابراهيمي القيام بثورة)، وكان يقول البشير الابراهيمي: (ليس الشعب بمهيأ)! مما يدل على تلمس الوسائل الممكنة حتى يكون الجهاد شرعيا صحيحا.

خامسا: ابن باديس كان يقول: (إن حاربت إيطاليا فرنسا قمت بالثورة)، فهذا دليل على أن الإمكانيات موجودة عنده، ولكن يتحرّى وقت ضعف فرنسا حتى يؤْتِي جهادَه ثمرتَه المطلوبة وإلا كان غير شرعي، فهو يرى عدم مشروعية الجهاد إلا بتحقق نقطة ضعف في فرنسا.

هكذا هم علماء السنة لا يغرِّرُون بأرواح البشر من غير مصلحة تُصَحِّح هذه المفسدة، ولا يبدؤون الجهاد إلا إذا غلب على ظنهم ترجح المصلحة على المفسدة، فإذا كان هذا توقفهم وتحرّيهم في الثورة فكيف بالحروب الخارجية؟!

سادسا: هذا الأمير (عبد القادر) قاد ثورة ضد الفرنسيين قبل ثورة الاستقلال بما يقارب ٨٠ سنة، وانتصر انتصارا عظيما حتى حرر الوسط والشمال ومسك زمام الحكم في هذه المناطق بموافقة فرنسا نفسها.

ثم إن الجيش الفرنسي طلب إمدادات، وبعد مرور سنتين هجم الجيش وطغى وأخذ يقْتُل ويحرِق قرى بالكامل، فلما نظر الأمير والمجاهد عبد القادر أنه لم يَعُد هناك مصلحة، فلا تحريرَ لأرضٍ ولاحفظَ لنفسٍ، علم أن جهاده سيكون غير شرعي، فطلب المفاوضة مع الجيش والسلطة المركزية الفرنسية حماية للنساء والأطفال ورحمة بهم فاستسلم، وسلّم أموره للجيش، ثم حوكم بعد ذلك وأُعْدِم ﷺ، فهذا نظرُ قائدٍ للمصالح والمفاسد وهو في ساحة القتال ويقود الجيوش.

فهؤلاء هم علماء الجزائر أنفسهم وقادتهم، لم آتِ بأحد من خارج الجزائر، مما يدل على أنهم على جادة السلف في عدم الحماسة والعاطفة غير المنضبطة، فسواء من وافق الثورة منهم أو خالفها أو توقف فكلهم ينطلقون من أصل واحد صحيح: **وهو أنه ليس كل جهاد للكفار يكون شرعيا مطلقاً بل ينظرون ويوازنون بين المصالح والمفاسد،** ومع ذلك فقد اتّهموهم في وقتهم بالتخاذل كما اتّهموا علماءَنا اليوم بالتّصَهْيُن والعمالة!!.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه د. حسن صنيدح العجمي

يوم الجمعة ٢٩ من ربيع الثاني ١٤٤٦هـ الموافق:٢٠٢٤/١١/١م